[٤]

غزوة «التّوابل.. والمسيح».. وغواية الأقليات

فى ١٧ جمادى الثانى سنة ٦٩٠هـ - ١٧ يونية سنة ١٢٩١م- انتصر الملك الأشرف خليل بن قلاوون [٦٦٦ - ٦٩٣ هـ ١٢٦٨ - ١٢٩٣م] على الصليبيين فى «عكا».. وبسقوط هذا الحصن أزيلت كل آثار الحروب الصليبية -التى مثلت حربا عالمية غربية على الشرق الإسلامى.. والتى كانت أطول الحروب العالمية، إذ امتدت على مدى قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١م]!![1].

نعم.. لقد استعاد الشرق الإسلامى حريته، بعد هزيمة الحملات الصليبية، التى قادتها الكنيسة الكاثوليكية - متحالفة مع فرسان الإقطاع الأوربيين.. ومع البرجوازية التجارية الأوربية -.. وهى الحرب التى صنع فيها الصليبيون الصورة الزائفة والغريبة والعجيبة للإسلام ورموزه ومقدساته وللمسلمين وحضارتهم، مكونين -بهذه الصورة- الرصيد والمخزون لثقافة الكراهية السوداء، التى استكنّت فى أعماق المخيال الغربى -فى ملاحم الأدب الشعبى.. ومواعظ اللاهوت الكنسى.. والكتب المدرسية والثقافية.. والمعاجم والموسوعات-.. والتى تستمد منها مؤسسات الهيمنة الغربية - السياسية والدينية- عند اللزوم، المزيد والمزيد من الأكاذيب، لتحشد بها الجماهير والدهماء والغوغاء فى صراعها التاريخى وطعمها القديم وغزوها المتكرر لعالم الإسلام..

ولقدم هذا الطمع الغربى فى الشرق، ولتجذّره، فإن فشل الحملات الصليبية على المشرق الإسلامى، لم ينه هذا الصراع.. وإنما انتقل به إلى جبهة الغرب.. **إلى الأندلس.. التى كانت أنوار حضارتها الإسلامية تزعج الظلمات الدامسة التى أدخلت الكنيسة أوربا فى غياهبها!..** فشددت الصليبية الكاثوليكية ضغوطها الحربية على

---

(١) لقد وقفنا - تبعا لموضوع الدراسة- عند الحملات الصليبية على الشرق الإسلامى.. لكن الحملات الصليبية قد امتدت لتشمل بلادا إسلامية خارج «خارطة» الشرق الإسلامى.. لذلك وحتى يرى القارئ العدد والمجال الجغرافى لهذه الحملات الصليبية -سنقدم- فى نهاية هذه الدراسة جدولا شاملا لجميع هذه الحملات.

الأندلس المسلمة، حتى أسقطت آخر معاقلها -غرناطة- فى ربيع الأول سنة ٨٩٧هـ - يناير سنة ١٤٩٢م..

ولقد نقض الملوك الصليبيون المنتصرون -«فرديناند» [١٤٧٩ - ١٥١٦م] و«إيزابيلا» [١٤٧٤ - ١٥٠٤م] - عهود الأمان التى قطعوها لمسلمى الأندلس.. وأعملوا فيهم سيوف الإبادة ومحارق محاكم التفتيش، حتى لقد أصبح الخيار محصورا بين القتل وبين التنصير!..

وما هى إلا شهور قليلة، بعد إسقاط غرناطة فى يناير سنة ١٤٩٢م، حتى بدأت محاولات الغزو الصليبى للشرق الإسلامى من جديد!..

لقد أسقطت آخر قلاع الصليبيين فى الشرق الإسلامى -حصن عكا- فى ١٧ ربيع الأول سنة ٨٩٧هـ - ١٧ يونية سنة ١٢٩١م-.. لتبدأ بعد قرنين من هذا التاريخ- فى أغسطس سنة ١٤٩٢م- الموجة الثالثة من الغزو الغربى للشرق -وهى الموجة المستمرة حتى هذه اللحظات..

- كانت الموجة الأولى عشرة قرون قبل ظهور الإسلام.. بدأت «بالإسكندر الأكبر» [٣٥٦ - ٣٢٤ق.م] فى القرن الرابع قبل الميلاد- واستمرت حتى «هرقل» [٦١٠ - ٦٤١م]- فى القرن السابع للميلاد..
- وكانت الموجة الثانية قرنين من الزمان، هما عمر الحملات الصليبية على الشرق الإسلامى..
- وبعد إسقاط غرناطة -فى يناير سنة ١٤٩٢م- بدأت الموجة الثالثة للغزو الغربى للشرق الإسلامى.. وهى التى تجاوز عمرها الآن خمسة قرون.. والتى أكملت عمر الغزو الغربى للشرق سبعة عشر قرنا من أربعة وعشرين قرنا، هى عمر التاريخ المكتوب لهذا الصراع!!..
- ففى شوال سنة ٨٩٧هـ - أغسطس سنة ١٤٩٢م خرج «كريستوفر كولمبس» [١٤٥١ - ١٥٠٦م] - الذى ندرّسه لأبنائنا فى المدارس والجامعات باعتباره مكتشفا جغرافيا عظيما!-.. خرج يريد الالتفاف حول العالم الإسلامى، باحثا عن الذهب فى جزر الهند الشرقية، لتمويل الغزوة الصليبية الجديدة، التى تريد احتلال القدس والشرق الإسلامى من جديد..

ولقد كتب «كولمبس» عن عزمه هذا إلى «سيديه الأكثر تدينا» الملك الصليبى «فرديناند» وشريكته الملكة «إيزابيلا» -كما جاء فى يومياته بتاريخ ٢٦ ديسمبر سنة ١٤٩٢م- فقال:

«إن هدفه هو العثور على الذهب بكميات كبيرة، حتى يتسنى للملكين أن يفتحا الديار المقدسة خلال ثلاث سنوات. فقد أعلنتُ لسموكما أن كل المغانم التى سيدرها مشروعى هذا سوف تنفق على فتح القدس. وقد ابتسمتما - يا صاحبى الجلالة.. وقلتما: إن ذلك يسركما»[1].

● ولما ضل «كولمبس» طريقة فى البحر، فذهب إلى أمريكا -بدلا من الالتفاف حول العالم الإسلامى- أخذ فى جمع الذهب، لتحقيق ذات الهدف الصليبى -إعادة اغتصاب القدس واحتلال الشرق الإسلامى-.. وكتب عن ذلك إلى الملك «فرديناند» والملكة «إيزابيلا».. فقال:

«صاحبى السمو، الأكثر تدينا، والأعلى مرتبة..

إن فهمى وإدراكى لمسألة استرداد الضريح المقدس بمدينة القدس لصالح الكنيسة المقدسة عسكريا، سوف أقوم بتوضيحه فيما يلى..

لقد مكثت سبعة أعوام فى بلاطكم الملكى، مناقشا الأمر مع العديد من الرجال.. إن ما حدث هو الذى سبق أن قال به يسوع المسيح المخلص، وذكره من قبل عبر رسالة المقدسين، ولهذا فيجب علينا أن نؤمن بأن أمر القيام بحملة صليبية لاستعادة مدينة القدس، لهو أمر سوف يتحقق بالفعل..

لقد قلت إننى سوف أتحدث عن فهمى وإدراكى لمسألة استعادة الضريح المقدس بمدينة القدس إلى أحضان الكنيسة الكاثوليكية..

ولتشجيع سموكم على القيام بالحملة الأخرى، المتعلقة باسترداد مدينة القدس، عبر الرجوع إلى الآيات التنبؤية بالكتاب المقدس. وما دام توافر لدى جلالتكم الإيمان الصادق، فلتكونوا واثقين من إحراز النصر فى مسألة استعادة الضريح المقدس ومدينة القدس..

---

(١) أحمد عبد المعطى حجازى -مقال «أول إسرائيل آخر أمريكا» صحيفة [الأهرام] فى ٢٨-٤-٢٠٠٤م.

يجب على أى شخص ألا يخشى القيام بأى أمر يتم تحت اسم مخلصنا وبرعايته ما دام العزم قويا، خاصة أن ذلك الأمر لهو أمر عادل، ويتم من أجل خدمة الرب المقدس.. ولابد أن جلالتكم تتذكرون أنكم شرعتم فى حربكم مع مملكة غرناطة المسلمة، دون أن تكون لديكم أموال وفيرة.

إن هناك أمورًا عظيمة فى هذا العالم، وإن هناك إشارات وعلامات بأن ربنا يدفعنا للقيام بتحقيقها، كالتبشير بالإنجيل فى أراض كثيرة ومتعددة فى وقت زمنى قصير.. ولقد ذكر الكاردينال «بيير» الكثير عن نهاية المسلمين، كما أن الأب «يواقيم الفيورى» قد ذكر أن الشخص الذى سيقوم بإعادة بناء الضريح المقدس للمسيح، فوق جبل صهيون، بالقدس سوف يخرج من إسبانيا»[1].

كما كتب «كولمبس» - هذا الذى لازلنا ندرّسه لأبنائنا باعتباره «المكتشف الجغرافى العظيم»! -كتب إلى البابا «إسكندر السادس» [١٤٩١ - ١٥٠٣م] - فى سنة ٩٠٨هـ سنة ١٥٠٣م- يقول:

«لقد اضطلعت بهذه المهمة- [الرحلات إلى أرض الذهب فى أمريكا]لننفق ما سوف نكسبه منها فى رد الديار المقدسة.

وبعد أن ذهبت إلى هناك، ورأيت الأرض، كتبت إلى الملك وإلى الملكة سيدى، إنه منذ ذلك اليوم، وعلى مدار سبع سنوات سوف أحتاج إلى خمسين ألفا من الجنود المشاة وخمسة آلاف فارس، لفتح الديار المقدسة»[2].

● وإذا كان «كولمبس» - الذى أبحر فى أغسطس سنة ١٤٩٢م، قاصدا الالتفاف حول العالم الإسلامى، تمهيدا لإعادة احتلال القدس والشرق الإسلامى- إذا كان قد ضل طريقه، وذهب إلى أمريكا- وجمع الذهب من هناك لتحقيق ذات الهدف الصليبى-.. فإن «فاسكودى جاما» [١٤٦٩ - ١٥٢٤م] قد قاد حملته الصليبية سنة ١٤٩٧م- أى بعد إسقاط غرناطة بخمس سنوات - رافعا شعار: «**التوابل والمسيح**»!.. فطاف حول إفريقيا- مارا برأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٧م-.. ثم

(١) دكتور حاتم الطحاوى «وثيقة نادرة: بعد غرناطة جاء دور القدس»- مجلة [العربى] -الكويت- العدد ٥٣٢ - مارس سنة ٢٠٠٣م - ص٦٢، ٦٧.

(٢) [الأهرام] مقال أحمد عبد المعطى حجازى «أول إسرائيل آخر أمريكا» - مرجع سابق-.

ذهب إلى شواطئ الهند الإسلامية، ليحارب المسلمين، ولقد دارت بين هذه الحملة البرتغالية وبين الجيش المصرى- الذى خرج من ميناء السويس سنة ٩١٠هـ سنة ١٥٠٤م إلى الهند للدفاع عنها ضد البرتغاليين- دارت الحرب هناك.. حيث انهزم الجيش المصرى أمام البرتغاليين..

ثم توالت معارك الصليبيين البرتغال مع المسلمين، على شواطئ الهند.. والفلبين التى قتل فيها «ماجلان» [١٤٨٠ - ١٥٢١م] وهو يقاتل المسلمين على شواطئها سنة ١٥٢١م.. ليتم -بعد ذلك- تنصير الفلبين، ولتتحول عاصمتها إلى «مانيلا».. بعد أن كان اسمها «أمان الله»!..

لقد كان شعار البرتغاليين -الذين مثلوا طلائع الغزوة الصليبية الحديثة-: «**التوابل والمسيح**»!..

وفى تحقيق الشق الأول من هذا الشعار، قاموا بتحويل التجارة الدولية عن طرقها الإسلامية، إلى طريق رأس الرجاء الصالح.. فأصابوا العالم الإسلامى بكساد اقتصادى شديد..

وفى تحقيق الشق الثانى من الشعار، أعملوا سيوف التنصير فى البقاع الإسلامية بشرقى آسيا..

وظلت ثقافتنا المغشوشة - حتى الآن - تدرّس لأبنائنا «فاسكودى جاما» و«ماجلان» و«كولمبس» باعتبارهم من عظماء المكتشفين الجغرافيين!!..

●●●

● فلما حان حين الغزو الغربى لقلب العالم الإسلامى - الوطن العربى- قام بذلك «بونابرت» [١٧٦٩ - ١٨٢١م] وحملته الفرنسية على مصر [١٢١٣هـ ١٧٩٨م].. وفيها أباد (سُبْع) الشعب المصرى - ٣٠٠,٠٠٠ من شعب كان تعداده يومئذ أقل من ثلاثة ملايين!!-..

وألقى بحبال الغواية والخيانة إلى الأقلية الأرثوذكسية وإلى النصارى الشوام والأروام بمصر - فانضم «المعلم يعقوب حنا» [١٧٤٥ - ١٨٠١م] - الذى يسميه

الجبرتى [١١٦٧ - ١٢٣٧هـ ١٧٥٤ - ١٨٢٢م]: «يعقوب اللعين»!-. . انضم مع فيلق من شباب الأقباط الأرثوذكس بلغ تعداده ألفين إلى جيش الحملة الفرنسية، مشاركين فى فتح المدن والقرى، وفى إعمال سيوف القتل والنهب والتعذيب فى الشعب المصرى. . وحتى فى علماء الأزهر الشريف!. .

لقد أعلن بونابرت -وهو فى الطريق من مارسيليا إلى الإسكندرية- عزمه على تجنيد ٢٠,٠٠٠ (عشرين ألفا من أبناء الأقليات) لاستخدامهم فى إقامة إمبراطوريته الشرقية. . ولقد نجح -أول ما نجح- مع الأقلية النصرانية فى مصر. .

- فانضم المعلم يعقوب -بفيلقه القبطى- إلى القائد الفرنسى «ديزيه» وشاركه فى «فتح صعيد مصر»!. . وتزيا -هو وفيلقه القبطى- بزى الجيش الفرنسى!. .

- وأعطى بونابرت الأقليات غير المسلمة - والتى لا تتعدى نسبتها العددية لمجموع السكان ٥٪ -أعطاها نصف عضوية «الديوان العام والخاص» خمسة من علماء الأزهر، واثنان من التجار المسلمين، وسبعة من الأقليات النصرانية- وعندما يضاف إليهم الأعضاء الفرنسيون يصبح المسلمون أقلية ضئيلة العدد والتأثير فى هذا الديوان!. .

- ومنح الجنرال «كليبر» [١٧٥٣ - ١٨٠٠م]- الذى خلف «بونابرت» فى قيادة الحملة- المعلم يعقوب رتبة «كولونيل» فى الجيش الفرنسى. . فلما جاء الجنرال «مينو» قائدا للحملة، منح المعلم يعقوب رتبة «جنرال» فى مارس سنة ١٨٠١م!. .

- وكون «برطلمين ينّى الرومى» هو الآخر فيلقا من النصارى الأروام، انضم به إلى جيش الحملة الفرنسية!. .

- ولأن النصارى كانت بيدهم سجلات الأموال، ولولائهم وانضمامهم للحملة الفرنسية، اختصتهم الحملة بالجهاز المالى الإدارى لمصر إبان الاحتلال الفرنسى. . وكتب «بونابرت» إلى حاكم الشرقية، الضابط الفرنسى «رينيه» رسالة فى ١٠ سبتمبر سنة ١٧٩٨م -أى بعد شهرين من الغزو- يصف الأقباط بـ **«أنهم لئام فى البلاد، ولكن ينبغى مراعاتهم لأنهم الوحيدون الذين فى**

يدهم مجمل الإدارة للبلاد. لقد حصلت منهم على سجلات هائلة حول قيمة الضرائب المفروضة»! واستعان الفرنسيون بالصيارف والكتبة الأقباط فى «ربط» الأموال الكثيرة على الفلاحين المصريين!.. -أى أن الخيانة قد حدثت وتمت فور بدء الغزوة الفرنسية!..

- ومارست هذه الأقلية -الخائنة لأمتها وحضارتها- الاستعلاء على المسلمين المصريين - الذين يمثلون ٩٥٪ من السكان- وذلك استنادا إلى حراب الغزاة الفرنسيين.. ووصف الجبرتى ذلك، فقال:

«لقد ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام واليهود، فركبوا الخيول، وتقلدوا السيوف بسبب خدمتهم للفرنسيس، ومشوا بالخيل، وتلفظوا بفاحش القول، واستذلوا المسلمين ،مع عدم اعتبارهم للدين، إلى غير ذلك مما لا يحيط به الحساب، ولا يسّطر فى كتاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم»!

- بل لقد احتفلت هذه الأقلية الخائنة -علنا- بانتصارات بونابرت على المسلمين فى معركة «غزة» سنة ١٢١٣هـ سنة ١٧٩٩م.. وكتب الجبرتى -مؤرخ العصر- عن ذلك فقال:

«.. وأظهر النصارى الفرح والسرور، فى الأسواق والدور، وأولموا فى بيوتهم الولايم، وغيروا الملابس والعمايم، وتجمعوا للهو والخلاعة، وزادوا فى الشناعة!»

- بل إن الجنرال كليبر [١٧٥٣ - ١٨٠٠م] - الذى خلف نابليون فى قيادة الحملة- قد أطلق العنان لهذه الأقلية الخائنة فى ازدراء الإسلام، والإعلان عن ذهاب ملته ودولته!! ووصف الجبرتى ذلك فقال:

إن كليبر عهد إلى المعلم يعقوب حنا «بأن يفعل بالمسلمين ما يشاء!.. فتطاولت النصارى، من القبط ونصارى الشوام، على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا منهم أغراضهم، وأظهروا حقدهم، ولم يبقوا للصلح مكانا! وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين»!!..

- ومثلت هذه الأقلية الخائنة طلائع الاختراق الفرنسى لمنظومة القيم الأخلاقية - التى لا تختلف فى النصرانية عنها فى الإسلام-! فكانت طليعة «السفور»

و«الخلاعة» وإشاعة المسكرات.. وممارسة الرقص والغناء والسكر والهزل والمجون مع الفرنسيين والفرنسيات فى مراكب النيل بالليل والنهار!..[1]

● وحتى بعد فشل الحملة العسكرية الفرنسية، ظلت هذه الأقلية الخائنة متعلقة بحبال عزل مصر عن تاريخها الإسلامى، وعن محيطها العربى والإسلامى، وإلحاقها بالغرب الأوربى:

- فالمعلم يعقوب أوصى بإلحاق مصر بإنجلترا.. فكتب -قبل هلاكه- إلى وزير الحرب البريطانى -طالبا «أن تخضع مصر المستقلة لنفوذ بريطانيا.. وأن تستأثر بريطانيا بتجارة مصر الخارجية.. فمصر المستقلة لن تكون إلا موالية لبريطانيا.. وأن المصريين -[الذين وصفهم بالمسالمين الجهلاء!]- يمكنهم أن يعتمدوا على قوات أجنبية تعمل لحسابهم يتراوح عددها بين ١٢,٠٠٠ و١٥,٠٠٠ تحرس استقلالهم عن محيطهم العربى والإسلامى»!![2]

فوصية «يعقوب - اللعين»- التى يصفها أحفاده بأنها أول إعلان لاستقلال مصر!- تطلب استقلال مصر عن ذاتها الحضارية، وتاريخها الإسلامى، ومحيطها القومى والحضارى، وتدعو لإلحاقها بالنفوذ الإنجليزى، لتكون موالية لبريطانيا، التى تستأثر بتجارتها الخارجية!.. وأن تفرض هذا الاستقلال قوات أجنبية، يدفع نفقاتها المصريون المسالمون الجهلاء»!- كما جاء فى وصية الجنرال «يعقوب - اللعين»!..

- أما أبناء الجنرال «يعقوب - اللعين» - الذين خرجوا -معه- من مصر، فى ركاب جيوش الحملة الفرنسية المهزومة سنة ١٨٠١م.. فلقد ظلوا على ولائهم

---

(١) انظر - فى وقائع هذه الحقائق- الجبرتى [عجائب الآثار] جـ٥ ص٤، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٨، ١٤٩ تحقيق حسن محمد جوهر، عمر الدسوقى، السيد إبراهيم سالم - طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م. و[مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس] ص١/٢، ١١٧ - تحقيق: حسن جوهر، عمر الدسوقى. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩م. وصحيفة [وطنى]- مقال عادل جندى «المخطوطات الخطيرة» عدد ٢-٧-٢٠٠٦م. وانظر كتابنا [الحملة الفرنسية فى الميزان] طبعة نهضة مصر-القاهرة سنة ١٩٩٨م. وعلى مبارك باشا [علم الدين] جـ٣ ص ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩١ طبعة الإسكندرية سنة ١٨٨١م.

(٢) دكتور أحمد حسين الصاوى [المعلم يعقوب بين الحقيقة والأسطورة] ص١٢٣ - ١٢٥ - ملحق رقم (٦) - طبعة القاهرة سنة ١٩٨٦م.

لبونابرت وفرنسا الاستعمارية.. فتوجهوا إلى «مرسيليا» - باسم «الوفد المصرى» - أى الذى لا هو عربى ولا إسلامى!- يقودهم «نمر أفندى».. **وكتبوا إلى بونابرت التماس التبعية الحضارية، إذ عرضوا عليه العمل على إحلال القانون الفرنسى محل الشريعة الإسلامية فى مصر.. فبعد حديثهم عن «الولاء لبونابرت» تعهدوا «بالتشريع لمصر التشريعات التى ترضى عنها فرنسا»!!.. وقالوا لبونابرت: «إن الوفد المصرى» الذى فوّضه المصريون الباقون على ولائهم لك، سيشرّع لمصر ما ترضاه لها من نظم عندما يعود إليها من فرنسا»!**[1].

- كذلك كتب أبناء الجنرال «يعقوب اللعين» إلى وزير الخارجية الفرنسية «تاليران» [١٧٥٤ - ١٨٣٨م] يعرضون عليه تسخير الكنيسة الأرثوذكسية المصرية - ذات الامتدادات فى إفريقيا- لتحقيق حلم الملك الفرنسى لويس الرابع عشر [١٦٣٨ - ١٧١٥م] اختراق الكنيسة الكاثوليكية لإفريقيا!.. وقالوا -فى عرضهم هذا-: «**إن الجمهورية الفرنسية اليوم.. إذا أرادت، يمكنها عن طريق الأمة المصرية، التى ستكون موالية لها، مد نفوذها نحو أواسط إفريقيا.. وبذلك تحقق ما عجزت عن تحقيقه الملكية**»![2].

هكذا صنعت الغواية الاستعمارية بهذه الأقلية الخائنة، التى سعت لبيع مصر فى سوق النخاسة الاستعمارى.. فعرض الجنرال «يعقوب- اللعين» إلحاق مصر بإنجلترا.. وعرض أبناؤه الذين خرجوا معه فى ركاب القوات الفرنسية الغازية - «**التشريع لمصر ما ترضاه فرنسا من النظم والقوانين**» وتسخير مصر وكنيستها لتحقيق الاختراق الفرنسى -الدينى.. والسياسى- لإفريقيا!.

●●●

وإذا كانت هزيمة المشروع البونابرتى.. ثم هزيمة الحملة الإنجليزية على رشيد [١٢٢٢هـ ١٨٠٧م] قد طوت هذه الصفحة السوداء من صفحات الغواية

---

(١) دكتور أحمد حسين الصاوى [المعلم يعقوب بين الحقيقة والخيال] ص١٢٩، ١٣٠ - ملحق رقم (٧).

(٢) المصدر السابق. ص١٣١، ١٣٢ - ملحق رقم (٨) - وتاريخ هذه المذكرة ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٠١م - ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢١٦هـ-.

والخيانة.. فإن أحفاد المعلم «يعقوب - اللعين» قد انتهزوا فرصة استعمار إنجلترا لمصر -بعد هزيمة الثورة العرابية- سنة ١٨٨٢م.. وتحقيق أحلام «نمر أفندى» و«وفده المصرى»! فى فرض القانون الفرنسى على مصر سنة ١٨٨٣م.. فسعوا إلى السير فى طريق تجريد مصر من هويتها العربية الإسلامية، وذلك بنقلها -تدريجيا- من «الإسلامية» إلى «المصرية» ثم إلى «القبطية»!.. مستعينين على ذلك بالاستعمار الإنجليزى -الذى منحوه ولاءهم- وبأوربا الصليبية التى ناصبت مصر الإسلامية العداء عبر تاريخها الطويل..

وعندما عقد أحفاد «يعقوب - اللعين» مؤتمرهم القبطى - بأسيوط - سنة ١٩١١م.. كتب الشيخ رشيد رضا [١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ ١٨٦٥ - ١٩٣٥م]- الذى انعقدت له الريادة واليقظة فى التصدى «للعلمانية».. و«الصهيونية».. و«القبطية» - فقال:

«إنهم يتحدثون عن ما يسمونه المسألة القبطية فى مصر.. بل والثورة القبطية!.. ويريدون أن لا يذكر اسم الإسلام والإسلامية فى أمور الحكومة ولا غيرها من المصالح العامة.. ويعبرون عن أنفسهم بالأمة القبطية، ويسمون البلاد المصرية بلادهم وبلاد آبائهم وأجدادهم..

والمشهور أن نسبة القبط إلى المسلمين فى هذا القطر هى نسبة من خمسة إلى ستة فى المائة.. وهم يمتلكون ثلاثين فى المائة من ثروة البلاد.. ومعظم أعمال الحكومة المصرية ومصالحها فى أيدى القبط.. وهذا هو الذى أطمعهم فى جعل حكومة مصر قبطية محضة فى يوم من الأيام..

ولقد أجمع القبط على تأييد الاحتلال.. وألفوا مؤتمرا قبطيا عاما فى أسيوط - التى سماها بعضهم (عاصمة القبط)..

وهم يستنجدون جرائد أوربا وقساوستها ليلزموا الدولة الإنكليزية أن تنصر الفئة القليلة، لأنها مسيحية، على الفئة الكثيرة الإسلامية.. وقد وعدهم بعض القسيسين والسياسيين لينفذن لهم ذلك..

ولقد طفقوا يطعنون فى جرائدهم طعنا صريحا فى سلف المسلمين وخلفهم، ودينهم وآدابهم ولغتهم..

إن المسيحية قد فصلت الحكومة من الدين، وأمرت أن يعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله، والإسلام ذو شريعة وسياسة. فما بال الذين يأمرهم دينهم بالخضوع لكل حاكم: وإن كان وثنيا كقيصر الروم فى زمن المسيح -عليه السلام- قد أصيبوا بهذا الشره فى السياسة؟!

إنه لا يضر من يشارك المسلمين فى الخضوع لشريعتهم إن كانوا يدينون لله بهذا الخضوع وهو لا يدين لله به، فإن حقوقهم على المسلمين -المكفولة لهم بالشريعة الإسلامية-تكون حينئذ مضمونة بقوة الحكومة فى الظاهر، وقوة الاعتقاد فى النفس، وحقوقهم عليه لا تكون مضمونة إلا فى الظاهر فقط، فالمسلم المتدين لا يأكل حق غيره وإن أمن عقاب الحكومة، وغير المسلم قد يأكل حق المسلم المحكوم به إذا أمن العقاب، لأن وجدانه لا يعارضه فى ذلك إذا اعتقد أن الحكم لا يجب الخضوع له.

ولقد كان من مقاصد بطرس غالى باشا [١٢٦٢ - ١٣٢٨هـ ١٨٤٦ - ١٩١٠م] التمهيد لإلغاء المحاكم الشرعية، وجعل الحكم فى الأمور الشخصية من خصائص المحاكم الأهلية، لأن طلبة الحقوق يتعلمون الفقه الإسلامى، فهو يريد أن يتعود المسلمون بالتدريج حكم لابسى الطرابيش فى القضايا الشرعية، حتى لا يبقى للمسلمين فى الحكومة المصرية شىء من المشخصات الملية..

ولقد أراد القبط أن لا يذكر اسم الإسلام والإسلامية فى أمور الحكومة ولا غيرها من المصالح العامة.. ليكون الانتقال من إسلامية إلى «مصرية» مدرجة إلى الانتقال من «مصرية» إلى «قبطية»..

ولقد علمنا بالقياس المطرد المنعكس:

أن القبط، وهم شرذمة قليلة -من خمسة إلى ستة فى المائة- والذين يملكون ٣٠٪ من ثروة البلاد -لا يأخذون شيئا إلا ويطلبون ما بعده، فلا يجاب طلب إلا ويعقبه طلب، ولا ينتهى أرب إلا إلى أرب، ولا يقنع هذه الفئة القليلة العدد، الكثيرة النشاط، الكبيرة الطمع، إلا أن يكون الحكم والنفوذ فى هذه البلاد خالصا لهم من دون المسلمين»![1]

---

(١) رشيد رضا: [المنار] جـ٢ مجلد ١٤ ص١٠٨ - ١١٤، ١٥٩، ١٦٠ - عدد ٣٠ صفر سنة ١٣٢٩هـ - أول مارس سنة ١٩١١م - وجـ٣ مجلد ١٤ ص ٢٠٢ - ٢٢٦ - عدد ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٢٩هـ ٣٠ مارس سنة ١٩١١م.

هكذا شخص رشيد رضا مشروع أحفاد المعلم «يعقوب اللعين» فى تجريد مصر من هويتها العربية الإسلامية، وعزلها عن محيطها العربى الإسلامى، وإقامة القطيعة بين حاضرها ومستقبلها وبين تاريخها، والتنكر لرسالتها الإسلامية فى عالم الحضارة الإسلامية..

●●●

ولقد جاءت ثورة مصر الكبرى سنة ١٩١٩م لتدفع بهذا «المشروع القبطى» إلى الوراء.. ولتداوى الكثير من الجراح التى أشار إليها الشيخ رشيد رضا.. وأسهمت المواقف الوطنية لزعماء من أمثال مكرم عبيد باشا [١٣٠٦ - ١٣٨٠هـ ١٨٨٩ - ١٩٦١م] الذى دعا الأقباط إلى الانتماء الكامل للحضارة العربية الإسلامية.. وقال:

«نحن مسلمون وطنا، ونصارى دينا.. اللهم اجعلنا نحن المسلمين لك، وللوطن أنصارا، واللهم اجعلنا نحن نصارى لك، وللوطن مسلمين»[١]

والذى كتب سنة ١٩٣٩م -أى قبل قيام جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥م - يقول: «المصريون عرب.. وتاريخ العرب سلسلة متصلة الحلقات، لا، بل هو شبكة محكمة العقد.. ورابطة اللغة، والثقافة العربية، والتسامح الدينى، هى الوشائج التى لم تفصمها الحدود الجغرافية، ولم تنل منها المطامع السياسية منالا، على الرغم من وسائلها التى تتذرع بها إلى قطع العلاقات بين البلاد العربية واضطهاد العاملين لتحقيق الوحدة العربية التى لا ريب فى أنها أعظم الأركان التى يجب أن تقوم عليها النهضة الحديثة فى الشرق العربى.

وأبناء العروبة فى حاجة إلى أن يؤمنوا بعروبتهم وبما فيها من عناصر قوية استطاعت أن تبنى حضارة زاهرة.

نحن عرب، ويجب أن نذكر فى هذا العصر دائما أننا عرب، وحدت بيننا الآلام والآمال، ووثقت روابطنا الكوارث والأشجان، وصهرتنا المظالم وخطوب الزمان.

نحن عرب من هذه الناحية، ومن ناحية تاريخ الحضارة العربية فى مصر، وامتداد أصلنا السامى القديم إلى الأصل السامى الذى هاجر إلى بلادنا من الجزيرة العربية.

---

(١) صحيفة [الوفد] -عدد ٢١ - ١ - ١٩٩٣م.

فالوحدة العربية حقيقة قائمة موجودة لكنها فى حاجة إلى تنظيم، فتصير كتلة واحدة، وتصير أوطاننا جامعة وطنية واحدة»[1]

هكذا دفعت ثورة سنة ١٩١٩م بأصوات العقل والحكمة، التى أعلنت وأكدت على الانتماء للحضارة العربية الإسلامية، وعلى أن العروبة هى حقيقة حضارية وثقافية ولغوية وتاريخية.. وأن السعى لابد أن يكون نحو إقامة كتلة عربية لأبناء الشرق العربى تحقق «**جامعة وطنية واحدة**».

●●●

لكن الأصوات والاتجاهات الطائفية الانعزالية العنصرية، الساعية إلى إقامة القطيعة مع الانتماء الحضارى العربى والإسلامى، ومع الشرق العربى والمحيط الإسلامى.. هذه الأصوات والنزعات، وإن انزوت بفعل الوعى الوطنى الذى ولدته ثورة سنة ١٩١٩م.. إلا أنها ظلت مستكنّة فى بعض الدوائر تتحين الفرصة للصعود من جديد..

● ولقد كان نجاح الإمبريالية الصليبية والصهيونية اليهودية فى إقامة الكيان الصهيونى على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م الفرصة التى دفعت بهذه النزعات الطائفية والعنصرية والانعزالية إلى الصعود من جديد..

فالمشروع الصهيونى قد نجح فى تغيير «الخرائط» و«الهويات».. وهو قد حقق غواية بونابرت عندما دعا الأقليات اليهودية -من على أسوار عكا- سنة ١٧٩٩م.. لتتعاون مع الإمبريالية الغربية لقاء إعادة زرعها فى فلسطين..

لقد أصدر بونابرت نداءه الشهير إلى يهود العالم، قائلا:

«أيها الشعب الفريد!.. إن فرنسا تقدم لكم يدها الآن، حاملة إرث إسرائيل. إن الجيش الذى أرسلتنى العناية الإلهية به، قد اختار القدس مقرا لقيادته، وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق، التى استهانت طويلا بمدينة داود وأذلتها!..

---

(١) مكرم عبيد: مجلة [الهلال] عدد إبريل سنة ١٩٣٩م.

يا ورثة فلسطين الشرعيين: إن الأمة الفرنسية.. تدعوكم إلى إرثكم، بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء!»[1]

ولقد تبنت الإمبريالية الإنجليزية.. ثم الأمريكية تحقيق غواية بونابرت للجماعات اليهودية.. وها هو قد قام الحلم الصهيونى العنصرى على أرض فلسطين.. فلم لا تنبعث الآمال لدى أحفاد المعلم «يعقوب اللعين» من جديد؟!.. بل ولدى كل أصحاب النزعات الطائفية والعنصرية والانعزالية، التى تريد تفتيت وطن العروبة وعالم الإسلام؟!..

ولأن الكيان الصهيونى هو قطرة فى محيط العرب والمسلمين، فلقد راهنت الصهيونية -ومعها الإمبريالية الصليبية- على تفتيت العالم العربى والمحيط الإسلامى أكثر فأكثر حتى يتحقق التفوق والأمن الاستراتيجى لإسرائيل..

لقد كتب المستشرق الصهيونى «برنارد لويس» معالم هذا المخطط -إبان إقامة إسرائيل- ونشره فى مجلة وزارة الدفاع الأمريكية -البنتاجون-.. ودعا فيه إلى إنشاء اثنين وثلاثين كيانا سياسيا جديدا فى الشرق الإسلامى- على أسس دينية.. ومذهبية.. وعرقية - «إثنية»-.. دعا إلى تقسيم العراق إلى ثلاث دول: كردية.. وشيعية.. وسنية.. وتقسيم السودان إلى دولتين: زنجية.. وعربية - وتقسيم لبنان إلى خمس دويلات: مسيحية.. وشيعية.. وسنية.. ودرزية.. وعلوية - وتقسيم مصر إلى دولتين: إسلامية.. وقبطية.. وكذلك بقية أنحاء العالم العربى والإسلامى -من باكستان إلى المغرب- وذلك «ليصبح العالم الإسلامى- وفق تعبيره- **«برجا ورقيا، ومجتمعات فسيفسائية - مجتمعات الموزايك»**.. ثم قال:

«ويرى الإسرائيليون: أن جميع هذه الكيانات سوف تشلّها خلافات لا انتهاء لها. ونظرا لأن كل كيان من هذه الكيانات سيكون أضعف من إسرائيل، فإن إسرائيل ستضمن تفوقها لمدة نصف قرن على الأقل»![2]

ولقد تحالفت الإمبريالية الصليبية مع الصهيونية اليهودية على تنفيذ هذا التخطيط..

---

(١) دكتور محمد عمارة [فى فقه المواجهة بين الغرب والإسلام] ص٢١ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٣م.

(٢) محمد السماك [الأقليات بين العروبة والإسلام] ص١٣١، ١٣٣، ١٤٣ طبعة بيروت سنة ١٩٩٠م.

● فتحدث «ديفيد بن جوريون» [١٨٨٦ - ١٩٧٣م] - أول رئيس وزراء للكيان الصهيونى - تحدث عن:

«ضرورة تثبيت وتقوية الميول الانعزالية للأقليات فى العالم العربى وتحريك هذه الأقليات لتدمير المجتمعات المستقرة، وإذكاء النار فى مشاعر الأقليات المسيحية فى المنطقة، وتوجيهها نحو المطالبة بالاستقلال، والتحرر من الاضطهاد الإسلامى»!(١)

● ونشرت المنظمة الصهيونية العالمية - فى مجلتها الفصلية «كيفونيم» - [الاتجاهات] - عدد ١٤ فبراير سنة ١٩٨٢م - «استراتيجية إسرائيل فى الثمانينيات».. وفيها تحدثت -بالتفصيل- عن تفتيت العالم العربى والإسلامى.. وركزت على ضرورة تفتيت مصر، قائلة: **«إن تفتيتها هو مفتاح هذا التطور التاريخى.. فمتى تفتتت مصر تفتت الباقون»!**.. ثم خلصت إلى:

«أنه فى العصر النووى لا يمكن بقاء إسرائيل إلا بمثل هذا التفكيك، ويجب من الآن فصاعدا بعثرة السكان، فهذا دافع استراتيجى، وإذا لم يحدث ذلك، فليس باستطاعتنا البقاء مهما كانت الحدود»!(٢)

● وفى ٢٠ مايو سنة ١٩٩٢م عقدت بجامعة «بارايلان» الإسرائيلية، ندوة شارك فيها باحثون من إسرائيل ومن الأقليات فى العالم العربى.. وخلصت توصيات هذه الندوة إلى:

«أن هذه الأقليات.. هى شريكة لإسرائيل فى المصير، ولابد من أن تقف مع إسرائيل فى مواجهة ضغط الإسلام والقومية العربية، أو تبدى استعدادا لمحاربتهما أو مقاومتهما، فهى حليف وقوة لإسرائيل»!(٣)

---

(١) دكتور سعد الدين إبراهيم [الملل والنحل والأعراق] ص ٧٤٠ - ٧٤٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤م وهو ينقل عن «مذكرات شاريت»..

(٢) [الأقليات بين العروبة والإسلام] ص ١٤٠ - ١٤٤.

(٣) [ندوة الموقف الإسرائيلى من الجماعات الإثنية والطائفية فى العالم العربى] ص٦-١٠، ٢٧. ترجمة الدار العربية للدراسات والنشر - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م.. انظر وثائق هذه المخططات فى الملحق الثالث -فى نهاية هذا الكتاب-.

هكذا تم التخطيط لهذا «التطور النوعى.. والكمى» فى الغـواية الاستعمارية - الصهـيونية للأقليـات الدينية.. والقوميـة.. والمذهبية، فى وطن العـروبة وعالم الإسلام.. وتم الإعلان عن هـذا التخطيط -فى الوثائق التى أشرنا إلى بعـضها- وبدأت التطبيـقات لهـذا التـخطيط على أرض الواقع مـتزامنة مـع إنشاء الكيـان الصهيونى على أرض فلسطين..

- فالمارونية السياسية - التى اعتبرت نـفسها امتدادا للغرب فى الشرق- قد تحركت متحالـفة مع الصهيونية- حـتى جرّت لبنان إلى حرب أهلية دامت خمـسة عشر عاما - [١٩٧٥ - ١٩٨٩] - حتى أصابها الإعياء!..

- والملا مصـطفى البـرزانى (١٣٢١ - ١٣٩٩هـ ١٩٠٣ - ١٩٧٩م] زار إسـرائيل -سرا- فى ستـينيات القرن العشرين - وكـان مترجمه القيـادى الكردى الدكتور محمود عـثمان-.. فبدأت -بهذه الزيارة- عـلاقات التحالف **بين النزعة الكردية الإقطاعـية العلمـانية** وبين الصهـيونية.. حـتى جاء الغزو الأمـريكى للعراق فى مارس سنة ٢٠٠٣م- والذى تم بتحالف كردى -شيـعى- صهيونى- ليتم وضع المخطط الصليبى-الصـهيونى لتفتيـت العراق فى الممارسة والتطبيق.. وليـتحول شمـال العراق إلى قاعـدة أمريكية صـهيونيـة.. وليتخـرج الطلاب الأكراد من المدارس والجامعات ولم يدرسوا حرفا واحدا من لغة القرآن الكريم!!..

- وفى السودان، قـامت وتقوم بعـثات التنصـير بوضع هذا المخطط فى الممـارسة والتطبيق، وذلك حتى يـقوم جدار يسد الباب أمـام طريق العروبة والإسلام إلى قلب إفريقيا!..

- وفى المغرب العربى.. علت أصوات أمازيغية تعترض حتى على تسميته بالمغرب العربى!.. وترفض تسميته بالإسلامى!.. لأنها ترفض العربية.. وتفتح بلادها أمام التنصير!..

- أما فى مصر -التى قال المخطـط الصهيونى عنها: «**إنها إذا تفتتت تـفتت الباقون.. وأن تفتيتهـا هو مفتاح هذا التطور التاريخى**[1]»!.. فلقد بدأت تتخـلق علـى أرضها

---

(١) لقد اعتـرف رئيس المخابرات الإسرائيليـة السابق «عاموس يادلين» بدور المخـابرات الصهيونيـة فى صناعة الفتنة الطائفية بمصر منذ سنة ١٩٧٩م - انظر صحيفة «المصرى اليوم» عدد ٢-١١-٢٠١٠.

- بالتزامن مع قيام إسرائيل- وفى إطار مجلة «مدارس الأحد» - القبطية- النزعات الطائفية والانعزلية والعنصرية، التى تسعى لإعادة رسم الخريطة، وتغيير الهوية، والعودة بعقارب الزمن أربعة عشر قرنا إلى الوراء!..

- فانقلابا على الانتماء الحضارى العربى الإسلامى لمصر - الذى نص عليه دستور سنة ١٩٢٣م- باعتباره «العقد الاجتماعى» الذى اتفق عليه المسلمون والمسيحيون واليهود المصريون.. والذى دعا إليه وأكد عليه مكرم عبيد باشا.. انقلابا على هذا الانتماء وهذه الهوية، تنشر الكتابات التى تنظّر لمشروع المعلم يعقوب - اللعين.. فيكتب سلامة موسى [١٣٠٥ - ١٣٧٧هـ ١٨٨٨-١٩٥٨م] قائلا:

«أنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب.. وإذا كانت الرابطة الشرقية سخافة، فإن الرابطة الدينية وقاحة!.. ونحن نريد العامية لغة الهكسوس، لا العربية الفصحى، لغة التقاليد العربية والقرآن»!(١)

- ويكتب الدكتور لويس عوض [١٩١٥ - ١٩٨٩م].. فيصف اللغة العربية بأنها: **«لغة دخيلة.. وميتة.. وأنها الأغلال التى يجب تحطيمها»!**(٢).

كما يصف عروبة مصر- والعروبة بشكل عام - بأنها:

«عنصرية.. وفاشية.. وأسطورة من الأساطير»!(٣)

- ويكتب القمص «سرجيوس» [١٨٨٣ - ١٩٦٤م] - فى مجلة [المنارة] بتاريخ ٦-١٢-١٩٤٧م- يقول:

«إن أرض الإسلام هى الحجاز فقط، وليست البلاد التى يعيش فيها المسلمون»!

- وتتبلور - فى إطار مجلة [مدارس الأحد] نزعة طائفية عنصرية، يقودها الناشط القبطى «نظير جيد»- الذى احترف الإثارة ضد الإسلام والمسلمين، وضد هوية مصر العربية الإسلامية.. حتى لقد ذهب إليه -وإلى جماعته- فى سنة ١٩٤٨م- وزير الصحة فى حكومة محمود فهمى النقراشى باشا [١٨٨٨ - ١٩٤٨م] - واسمه نجيب إسكندر باشا- قائلا لهم -بصيغة الجمع-:

---

(١) سلامة موسى [اليوم والغد] ص٥-٧، ٢٠٠، ٢٠١ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨م.

(٢) لويس عوض [تاريخ الفكر المصرى الحديث] جـ١ص١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٩. طبعة دار الهلال - القاهرة سنة ١٩٦٩م.

(٣) [الأهرام] فى ٧، ٢٠ إبريل، ١١ مايو سنة ١٩٧٨م. و[السياسة الدولية] عدد أكتوبر سنة ١٩٧٨م.

«لحساب من تعملون؟!.. أنتم تهددون وحدة العنصرين»!

وتروج هذه الجماعة لدعوى أن المسلمين المصريين هم وافدون على مصر.. فيكتب نظير جيد:

«إن المسلمين قد أتوا وسكنوا معنا فى مصر»![1]

- ويعلن هذا التيار الطائفى العنصرى الانعزالى عن نفسه وعن توجهاته القومية والسياسية، فى شكل [جماعة الأمة القبطية][2] التى تأسست فى أول شهر توت - رأس السنة الفرعونية سنة ١٦٦٩ ق - ١١ سبتمبر سنة ١٩٥٢م-.. والتى استقطبت خلال عام واحد ٩٢,٠٠٠ من شباب الأرثوذكس.. وفتحت - فى أقاليم مصر ومدنها- مدارس لتعليم اللغة القبطية بالمجان.. والتى أعلنت عن «مشروع قومى» وليس مجرد مطالب دينية - وجاء فى ميثاقها:

«إن الأقباط يشكلون أمة.. ويطلبون حذف النص الدستورى الذى يقول إن الإسلام دين الدولة!.. وإن اللغة العربية هى لغتها!.. وذلك ليكون الدستور مصريا.. لا عربيا ولا إسلاميا..

وإن مصر كلها أرضنا التى سُلبت منا بواسطة العرب المسلمين منذ ١٤ قرنا.. وأننا سلالة الفراعنة.. وديانتنا هى المسيحية.. وسيكون دستورنا هو الإنجيل.. وتكون لغتنا الرسمية هى اللغة القبطية»!

ولقد كان لهذه الجماعة علمها وزيها الخاصان بها.. وكان العلم يمثل صليبا منصوبا فى الإنجيل - ولم يكن هذا الصليب صليب الدين المسيحى.. وإنما كان رمزا فرعونيا يمثل مفتاح الحياة لتوت عنخ آمون؟!-.. كما كان لها نشيد تنشده فى جميع الاحتفالات والاجتماعات»!![3]

---

(١) نظير جيد -افتتاحية مجلة [مدارس الأحد] ص١-٥ عدد يناير سنة ١٩٥٢م.

(٢) أول من استخدم مصطلح «الأمة القبطية» هو بونابرت -أثناء غزوه لمصر سنة ١٧٩٨م.. ثم استخدمه حبيب جرجس [١٨٧٦- ١٩٥١م] أثناء الاحتلال الإنجليزى لمصر.. وكذلك المؤتمر القبطى سنة ١٩١١م.. ثم جعلته [جماعة الأمة القبطية] عنوانا لتنظيمها سنة ١٩٥٢م بعد قيام الكيان الصهيونى على أرض فلسطين.

(٣) دكتور سليم نجيب [الأقباط عبر التاريخ] ص١٨٤، ١٨٥. تقديم مجدى خليل طبعة دار الخيال- القاهرة سنة ٢٠٠١م.

فهو «مشروع قومى»، يتحدث عن لغة بديلة.. وعن أرض محتلة.. ويريد تغيير الخريطة والهوية -كما صنعت الصهيونية على أرض فلسطين!-.

ولقد حاولت هذه الجماعة فرض نزعتها العنصرية على قيادة الكنيسة يومئذ - الأنبا يوساب الثانى [١٩٤٦ - ١٩٥٦]م.. فلما رفض، اختطفوه من المقر البابوى وذهبوا به إلى دير صحراوى.. وأجبروه على التنازل عن البابوية!..

وعندما اعتقلت حكومة ثورة يوليو المجموعة التى قامت باختطاف البابا.. وحلت الجماعة فى ٢٤ إبريل سنة ١٩٥٤م.. دخلت قيادات أخرى من هذه الجماعة إلى الدير -وفى مقدمتهم «نظير جيد»- سالكة طريق الرهبنة - بدلا من الثورة- لتصل إلى قيادة الكنيسة فى ١٤نوفمبر سنة ١٩٧١م.. لتحقق «بالانتخاب» ذات المشروع الذى لم يتحقق سنة ١٩٥٤م «بالانقلاب»!..

- ومنذ ذلك التاريخ - ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١م- بدأ تفجير أحداث الفتنة الطائفية -على نحو غير مسبوق فى تاريخ مصر.. وعلى نحو غير معروف فى إطار الكنائس المصرية الأخرى.. فالمشروع «قومى» يمثل النزعة العنصرية التى تبلورت فى إطار الأرثوذكسية المصرية منذ «المعلم يعقوب» اللعين.. وليس مشروعا لمطالب دينية مسيحية، ولذلك فلا وجود له فى كنائس مصر الأخرى - إنجيلية كانت أو كاثوليكية أو أسقفية أو مارونية أو أرمنية.. إلخ.. إلخ..[(١)].
- ومنذ ذلك التاريخ -أيضا- بدأ «الإعلان الفكرى» عن أيديولوجية هذا المشروع:

- الدعوة لاستبدال اللغة القبطية -التى لا علاقة لها بالمسيحية ولابالإنجيل -باللغة العربية.. فيكتب الأنبا «غريغوريوس» [١٩١٩ - ٢٠٠٢م] يقول:

«إن اللغة القبطية هى لغتنا.. وهى تراث الماضى، ورباط الحاضر، وهى من أعظم الدعائم التى يستند إليها كيان الشعب المسيحى.. وهى السور الذى يحمينا من المستعمر الدخيل»![(٢)]-هكذا كتب ثانى رجالات الكنيسة.. أسقف البحث العلمى.. والتعليم.. والدراسات العليا!..

---

(١) انظر الكثير من وقائع هذه الفتنة الطائفية بكتابنا [الفتنة الطائفية: متى.. وكيف.. ولماذا؟] طبعة مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٩م.

(٢) غريغوريوس - مقال «اللغة القبطية والألحان القبطية» - صحيفة [وطنى] فى ٣٠-٧-٢٠٠٠م.

- ويحاضر الأنبا توماس - عضو المجمع المقدس.. وأسقف القوصية - بصعيد مصر، يحاضر بمعهد «هديسون» الأمريكى - بواشنطن فى ١٨-٧-٢٠٠٨م فيقول عن المشروع العنصرى للكنيسة.. الذى يعلن أنه «مشروع قومى مختلف»-:

«إن الشخص القبطى يشعر بالإهانة إذا قلت له إنك عربى!..»

«وإن اللغة القبطية هى اللغة الأم لمصر»!..

«وإن الأقباط يعانون ويحاربون خطرى التعريب والأسلمة!»..

«وأنهم قد وجدوا ثقافتهم تموت، ووجدوا أنفسهم مسئولين عن حمل ثقافتهم والمحاربة من أجلها حتى يأتى الوقت الذى يحدث فيه انفتاح وتعود دولتنا لجذورها القبطية.. وحتى يأتى هذا الوقت، فإن الكنيسة.. تقوم بدور الحاضنة للحفاظ على هذا التراث القومى المختلف!».

«وأن المسلمين قد خانوا الأقباط منذ الاحتلال العربى لمصر..»!![1].

هكذا أعلن هذا الأسقف - عضو المجمع المقدس- عن احتضان الكنيسة للمشروع القومى العنصرى لجماعة الأمة القبطية - وهو «مشروع قومى مختلف» - بل ومعادى- لهوية مصر العربية الإسلامية.. كما أعلن عن **«محاربة الكنيسة من أجل تحقيق هذا المشروع، حتى يأتى الوقت الذى يحدث فيه الانفتاح وتعود مصر لجذورها القبطية.. وأفصح عن أن الأقباط يحاربون خطرى التعريب والأسلمة»!.. أى يحاربون الانتماء الحضارى لمصر..**

ولما انتقد السياسى القبطى جمال أسعد عبد الملاك هذه المحاضرة.. هاجمه البابا شنودة ودافع عن هذه المحاضرة.. وعن صاحبها ووصفها بأنها «محاضرة تاريخية»!!..

- وغير معهد الدراسات القبطية.. تحولت الكنائس إلى مدارس لتعليم اللغة القبطية.. ودعا عميد معهد الدراسات القبطية -الدكتور رسمى عبد الملك- إلى:

---

(١) انظر - فى نص هذه المحاضرة -صحف [المصرى اليوم] و[البديل] فى ٢٠ مايو سنة ٢٠٠٨م- وهى تنقل عن وكاله «أمريكان إن أربيك». وانظر كذلك ترجمة المحاضرة فى صحيفة [الدستور] بتاريخ ١٣-٨-٢٠٠٨م. وأيضا ترجمة محمود الفرعونى لهذه المحاضرة على موقع «مصريون ضد التمييز الدينى» على شبكة المعلومات العالمية.

«أن يكون محو أمية الشعب المصرى باللغة القبطية، لا العربية!..».

وأعلن عن مخطط إحلال اللغة القبطية محل اللغة العربية.. وكيف أنه:

«يوجد فى كل كنيسة فصل لتعليم اللغة القبطية.. وعن فتح المجال لرسائل الماجستير والدكتوراه فى اللغة القبطية، ولعمل إحصائيات حول المتحدثين باللغة القبطية فى تعاملهم اليومى داخل المنزل.. وأكد وجود أعداد كبيرة تقبل على تعلم اللغة القبطية، وعائلات لا تتحدث فى منازلها إلا باللغة القبطية»![1].

● وعلى حين أجمع الشعب المصرى - فى أدبياته - على أنه جزء من الأمة العربية والحضارة الإسلامية - فإن الكنيسة الأرثوذكسية- خاصة، وبخلاف كنائس مصر الأخرى- تصر - فى أدبياتها- على استخدام عبارات:

«الشعب القبطى.. وشعب الكنيسة.. والأمة القبطية.. والشعب المسيحى!!..».

ولقد سحبت الكنيسة «شعبها» هذا من المجتمع ومؤسساته.. وأعلنت فى مناسبات عدة رفضها الخضوع للقانون ولأحكام القضاء التى يخضع لها جميع المصريين!.. فمثلت -بذلك- دولة فوق الدولة- وليس فقط داخل الدولة!..

● وامتدادا لدعوى «نظير جيد» فى مجلة [مدارس الأحد] - فى يناير سنة ١٩٥٢م - أن المسلمين المصريين هم وافدون «جاءوا وسكنوا مع الأقباط فى مصر»!.. وهى الدعوى التى وضعتها [جماعة الأمة القبطية] فى ميثاقها عندما قالت: «إن مصر كلها أرضنا التى سُلبت منا بواسطة العرب المسلمين منذ ١٤ قرنا»!.. امتدادا لهذه الدعوى.. توالت تصريحات الأساقفة -أعضاء المجمع المقدس- التى تردد وتؤكد هذه الدعوى - التى غدت جزءا أصيلا من ثقافة الكنيسة-..

- فالأنبا مرقس -المتحدث الرسمى باسم الكنيسة.. وعضو المجمع المقدس.. ورئيس لجنة الإعلام بهذا المجمع والذى يسمونه «وزير إعلام الكنيسة!- يعلن:

«إن مصر هى بلد الأقباط وهم أصحابها»![2]

(١) صحيفة [الدستور] فى ٢-٧-٢٠٠٨م.

(٢) صحيفة [المصرى اليوم] فى ١٩-١-٢٠٠٧م.

- والأنبا بيشوى -سكرتير المجمع المقدس.. والرجل الثانى فى الكنيسة- يقول فى حوار مع صحيفة [المصرى اليوم]:

«إن الأقباط هم أصل البلد.. والمسلمون المصريون هم ضيوف حلوا علينا ونزلوا فى بلدنا»!(١)

- ويؤكد الأنبا بسنتى -عضو المجمع المقدس وأسقف حلوان- على ما ذهب إليه الأنبا بيشوى، ويقول: **«إن ما قاله الأنبا بيشوى» من «أن المسلمين ضيوف على مصر» «وصف دقيق لوقائع تاريخية»!**(٢)

●●●

لقد كان سكان شبه الجزيرة العربية - عند الفتح الإسلامى لمصر والشرق- لا يتعدون المليون نسمة.. وكان سكان الدولة الإسلامية -التى أقامتها الفتوحات الإسلامية- يبلغون فى مصر والشام والعراق وفارس -٢٩,٠٠٠,٠٠٠- وإذا أضفنا إليهم سكان بلاد الشمال الإفريقى، بلغ سكان تلك الدولة نحو ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ (٣) ولو أن كل عرب شبه الجزيرة -المليون- هاجروا وسكنوا مع الأربعين مليونا لما غيروا شيئا فى التركيبة السكانية لتلك الدولة..

ولقد كان سكان مصر - عند الفتح الإسلامى- يتوزعون -دينيا- بين:

١- الآريوسيين -وهم النصارى الموحدون- الذين يقولون -بعبارة الأسقف يوحنا النقيوسى-: «إن المسيح مخلوق».

٢- والوثنيين -الذين كانوا على الديانة المصرية القديمة -السابقة على المسيحية-

٣- والأرثوذكسيين -الذين كانوا يمثلون أقل من نصف سكان مصر..

٤- والكاثوليك -الرومان- الملكانيين -الذين غادروا مصر وكان عددهم ٣٠٠,٠٠٠ مع الجيش الرومانى.. ولقد دخل الآريوسيون - أتباع

---

(١) صحيفة [المصرى اليوم] فى ١٥-٩-٢٠١٠م.

(٢) صحيفة [الدستور] فى ١٩-٩-٢٠١٠م.

(٣) فيليب فارج، يوسف كرباج [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ص٢٥، ٤٤- ترجمة: بشير السباعى - طبعة دارسينا - القاهرة سنة ١٩٩٤م.

«آريوس» [٢٦٥ - ٣٦٦م] - والوثنيون فى الإسلام فور دخول الجيش الإسلامى إلى مصر، وحتى قبل فتح هذا الجيش للإسكندرية.. وبقى الأرثوذكس -الذين دافعوا عن عقيدتهم أمام الاضطهاد الرومانى- والذين حرر الفتح الإسلامى كنائسهم وأديرتهم وبطركهم «بنيامين» وحقق لهم «الأمان والحرية والطمأنينة»، بقوا على دينهم لفترات طويلة تحت سلطان الدولة الإسلامية.. بينما دخل فى الإسلام -فور بدء الفتح- أكثر من نصف سكان مصر -الذين كان تعدادهم يومئذ ٢,٥٠٠,٠٠٠ [١]- ولم يتعد تعداد الجيش الفاتح ٨,٠٠٠ جندى..

وهكذا، فالمسلمون المصريون هم فراعنة أسلموا.. وليسوا وافدين على الأرثوذكس!

● ولقد شهد العلامة الإنجليزى سيرتوماس آرنولد على:

«تحول كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح، حين كانت الإسكندرية -حاضرة مصر يومئذ- لا تزال تقاوم الفاتحين، وسار كثير من القبط على نهج إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة»[٢].

● وشهد على هذه الحقيقة -أيضا- الأنبا موسى- أسقف الشباب بالكنيسة الأرثوذكسية وعضو المجمع المقدس- عندما قال:

«إنه ليس بيننا وبين إخواننا المسلمين فرق عرقى -«إثنى»-، لأننا مصريون، وأتجاسر وأقول: كلنا أقباط، بمعنى أنه يجرى فينا دم واحد من أيام الفراعنة، ووحدة المسألة العرقية تجعلنا متحدين مهما اختلفنا فى الدين»[٣].

● ولهذه الحقيقة -حقيقة سبق أكثر من نصف سكان مصر، عند الفتح، للدخول فى الإسلام- كانت مصر أسرع البلاد المفتوحة دخولا فى الإسلام..

---

(١) فيليب فارج، يوسف كرباج [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ص٢٥، ٤٤- ترجمة: بشير السباعى - طبعة دارسينا - القاهرة سنة ١٩٩٤م.

(٢) [الدعوة إلى الإسلام] ص ١٢٣، ١٢٤.

(٣) [الملل والنحل والأعراق] ص ٥٢٩- ٥٣٤.

فعلى حين لم يتعد عدد المسلمين فى رعية الدولة الإسلامية بعد قرن من الفتح ٢٠٪ من السكان.. وصلت نسبة المسلمين فى مصر:

- أكثر من ٥٠٪ -بعد نحو نصف قرن من الفتح- أى فى نهاية خلافة معاوية ابن أبى سفيان [٦٠هـ ٦٨٠م].

- ٧٥٪ من السكان -بعد مرور قرابة قرنين على الفتح- فى نهاية حكم هارون الرشيد [١٩٣هـ ٨٠٩م].

- ٨٠٪ من السكان -فى القرن التاسع الميلادى- أى بعد قرنين ونصف من الفتح[١].

تلك هى حقائق التاريخ.. وحقائق الواقع التاريخى، شهد بها الثقاة من الأجانب ومن المصريين.. فالذين اختاروا الإسلام دينا هم مصريون أصلاء.. والذين اختاروا العربية لغة هم مصريون أصلاء.. تلك هى الحقائق التاريخية..

وتلك هى أكاذيب الذين سقطوا فى غواية الإمبريالية الصليبية والصهيونية اليهودية.. منذ بونابرت ويعقوب اللعين.. ومنذ المؤتمر القبطى سنة ١٩١١م.. وحتى انتعاش الطائفية والعنصرية لدى قطاعات من الأقليات بالتزامن مع نجاح المشروع الصهيونى على أرض فلسطين.

●●●

● كذلك امتدت بلوى الغواية الاستعمارية الإنجليزية إلى الأقلية الدرزية -فى الشام- فى ذات الوقت الذى امتدت فيه بلوى الغواية الاستعمارية الفرنسية إلى الأقلية المارونية -التى اعتبرتها فرنسا الصليبية، منذ الملك الفرنسى الصليبى القديس «لويس التاسع» [١٢١٤ - ١٢٧٠م] - «**جزءا من الأمة الفرنسية**»!!-[٢]..

---

(١) [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ص ٢٥، ٤٦، ٤٧.

(٢) [الأقليات بين العروبة والإسلام] ص ٧٤ -وهو ينقل عن «وثائق الباب العالى» المجلد الثالث - ص ١٠٠.- ولقد تم الاتصال بين لويس التاسع -أثناء حملته الصليبية- وبين شمعون الثانى [١٢٤٥ - ١٢٧٥م] بطرك الموارنة بلبنان.

- امتدت الغـواية الفرنسية إلى الأقلية المارونيـة، فكان الصدام الدموى بين الدروز والموارنة سنة ١٨٦٠م..
- وامتـدت الغواية الاسـتعـمارية الإنجليزيـة إلى الأقلية الآشوريـة -فى العراق- فكانت المذبحة التى حدثت لهذه الأقلية سنة ١٩٣٣م..
- وامتدت أصـابع هذه الغواية الاستعـمارية الإنجليزية إلى الأقلية اليـهودية بمدينة الخليل -فى فلسطين- فكانت الأحداث التى وقعت سنة ١٩٢٩م..
- كما امتدت -من قبل- غواية -القيصرية الروسية- إلى الأرمن..

وفى مـذكرة بعـثت بها المفـوضيـة البريطانيـة فى بيروت إلـى وزارة الخارجـية الإنجليزية -بلنـدن- بتاريخ ٢٣ أكتـوبر سنة ١٩٤٤م نقرأ «**شهـادة شاهد من أهلـها**» على دور هذه الغواية الاسـتعمـارية فى الفتن والمجازر التى كـان وقودها أبناء هذه الأقليات.. نقرأ:

«إن كل مذبحة حدثت أيـام العثمانيين كانت لها خلفيات سياسية، ولو جـزئيا، فقد حاول الروس مـساندة الأرمن واستغـلالهم ضد السلطة -[العثـمانية] - فأثاروا حـفيظة الأتراك.

وساندت فرنسا الموارنة، فكان موقفها عاملا فى وقوع مجازرسنة ١٨٦٠م.

ومشاكل الآشوريين فى العراق، التى وصلت إلى ذروتها بمذبحة سنة ١٩٣٣م، كانت -إلى حد ما- نتيجة تعنت الآشوريين -وخاصـة «مارشمعون»-. لقـد اتخذ الآشوريون هذا الموقف معتقدين أننا فى النهاية سننجر إلى التدخل، وإلى بسط حمايتنا عليهم.

وفى فلسطين، حدثت مجزرة الخليل سنة ١٩٢٩م وغـيرها من المجازر بسبب العامل الخارجى.

إن الاضطهاد الدموى غريب عـن تاريخ السوريين، ومن الممكن أن يحصل هنا بعض التمييز والاضطهاد، إلا أن المجازر الكبرى كانت دائما حصيلة التدخل الخارجى..»[1]

---

(١) [الأقليات بين العروبة والإسلام]. ص ٧٩، ٨٠ -وهو ينقل عن وثائق وزارة الخارجية البريطانية F.O. 256.

ففى ظل النمـوذج الإسلامى -التنوع فى إطار وحدة الأمـة- لم يحدث العنف الدموى -باعتـراف المذكرة البريطانية الـرسمية- بينما قـاد الاختراق الاستـعمارى والغـواية الخـارجـيـة أبناء كل هذه الأقليـات - والأرمن، والموارنة، والدروز، والآشوريين، واليهود إلى «المجازر الكبرى»!

●●●

لكن بلوى الغواية.. والخيانة ما كان لها أن تعم.. فسنة من سنن الله أن القوم -أى قوم- ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ [آل عمران: ١١٣].. ولذلك ارتفعت أصوات الوعى الوطنى.. والقومى.. والحضارى -الأصوات التى فقهت تجربة الحضارة الإسلامية فى التنوع والتمايز - الدينى.. واللغوى.. والمذهبى - فى إطار الأمة الإسلامية، والأممية الإسلاميـة.. والتى رأت أن النزعات العرقية والطائفية، التى صدّرها لنا الغرب، ثم رعاها، هى المسئولة عن هذا النشاذ وهذا الشذوذ..

● ارتفع صوت المفكر والسياسى الكردى الدكتور محمود عثمان، الذى قال:

«نحن الأكراد شـعب أصيل، يرجع تاريخـه إلى ٢٧٠٠ سنة إلى الوراء، يرجع أصله إلى جنوب القوقاز الجبلية، ذات الأصول الآرية، ولغته هندوأوربية، من عائلة اللغات الفارسية..

منذ أتى العرب المسلـمون إلى وادى الرافدين، منذ أربعـة عشر قرنـا، اختلط تاريخنا وحضارتنا بتاريخهم وحضارتهم، وربط بيننا وإياهم الدين الإسلامى..

فمشكلتنا المعـاصرة بدأت مع المشكلات المعاصرة لكل شعوب وقـوميات المنطقة فى أواخر عهد الإمبراطورية العثمانية..

وأنا شـخصـيا- ومـعظم القـيادات الكردية - نؤمن بصـراحـة بأن تطورنا السيـاسى والاقتصـادى والثقافى يمكن أن يتم بشكل أفـضل فى إطار وحدة وطنية عراقـية.. وفى إطار وحدة الأمة العربية..»[1].

فالمشكلة بدأت مع الاسـتعمار والنزعـات القومية العنصـرية التى غذاها.. ولم يكن لها وجود إبان سـيادة الصيغة الإسلامـية -صيغة التنوع الثـقافى واللغوى فى

(١) [الملل والنحل والأعراق] ص٢٦٩، ٢٧٠.

إطار الأمة الواحدة - وهى الصيغة التى استمرت سائدة حتى أواخر الدولة العثمانية..

والحل المفضل هو إحياء هذه الصيغة.. التنوع «**فى إطار وحدة الأمة العربية**»..

● وارتفع صوت المفكر والسياسى المارونى «جوزيف مغيزل» [١٩٢٤ - ١٩٩٥م]، الذى شخص مأزق «المارونية السياسية» فقال:

«إن المأزق السياسى والحضارى للموارنة هو أنهم لا يرون العرب المسلمين داخل وخارج لبنان على صورة الغرب الكاثوليكى، وما لم يتم مسخ العرب المسلمين ليطابقوا صورة الغرب المسيحى فهم غير مقبولين تماما من الموارنة.. ولما كان مسخ العرب المسلمين على هذه الصورة يكاد يكون مستحيلا فسيظل الموارنة على موقفهم.. وهذا المأزق الحضارى السياسى تحول خلال الحرب الأهلية إلى مأزق سياسى عسكرى.. وقد حاولوا الخروج من المأزق بالتحالف مع الشيطان، أى إسرائيل»![١]

● وارتفع صوت المفكر القومى- ابن الروم الأرثوذكس - ميشيل عفلق [١٣٢٨ - ١٤٠٩هـ ١٩١٠ - ١٩٨٩م] فقال:

«لقد توجه الاستعمار إلى أبناء الأقليات يغذيهم بأفكاره الخاطئة.. ولقد أحدثت المدارس الأجنبية والمدارس التبشيرية - على امتداد قرن كامل- تشوها ثقافيا، بما نفثت من سموم فى تلك الأوساط.. حتى خلقت تيارا انعزاليا ذا وعى وشعور منحرف، يزعم أنه غير عربى، ويسعى للتحالف مع الغرب ضد العروبة والإسلام..

ولقد أبعدت الفروق الطائفية قسما هاما من العرب عن روح بلادهم وتقاليدهم، وجعلتهم شبه غرباء فى وطنهم، وأضعفت، بالنتيجة، مساهمتهم فى الحركة القومية..

ونحن نريد أن تستيقظ فى المسيحيين العرب قوميتهم يقظتها التامة، فيروا فى الإسلام ثقافة قومية لهم، يجب أن يتشبعوا بها ويحبوها، لأنه متصل بطبعهم وتاريخهم، ولأنه الميدان الذى برهن العرب فيه عن كفاءتهم فى تسامى الروح وخصب الفكر وقوة الأخلاق..

---

(١) [الملل والنحل والأعراق] ٦٤١، ٦٤٢.

وسوف يعرف المسيحيون العرب، عندما تستيقظ فيهم قوميتهم يقظة تامة، ويسترجعون طبعهم الأصيل، أن الإسلام هو لهم ثقافة قومية يجب أن يتشبعوا بها حتى يفهموها ويحبوها، فيحرصوا على الإسلام حرصهم على أثمن شيء في عروبتهم..

وإذا كان الواقع لايزال بعيدا عن هذه الأمنية، فإن على الجيل الجديد من المسيحيين العرب مهمة تحقيقها بجرأة وتجرد، مضحين في سبيل ذلك بالكبرياء والمنافع، إذ لا شيء يعدل العروبة وشرف الانتساب إليها..

إنه لا يوجد عربي غير مسلم.. فالإسلام هو تاريخنا، هو بطولاتنا، وهو لغتنا، وفلسفتنا، ونظرتنا للكون.. إنه الثقافة القومية الموحدة للعرب على اختلاف أديانهم ومذاهبهم.. وبهذا المعنى لا يوجد عربي غير مسلم، إذا كان هذا العربي صادق العروبة، وإذا كان متجردا من الأهواء، ومتجردا من المصالح الذاتية..

ولئن كان عجبي شديدا للمسلم الذي لا يحب العرب، فعجبي أشد للعربي الذي لا يحب الإسلام..»![1]

هكذا تحدث ميشيل عفلق -الذي دمرت الدبابات الأمريكية قبره، عندما اجتاحت بغداد إبان الغزو الأمريكي الصليبي- الصهيوني - الشيعي الصفوي في مارس سنة ٢٠٠٣م!!..

- كذلك ارتفعت أصوات الانتماء الوطني والقومي والحضاري في صفوف الأقباط المصريين.. الذين رفضوا غواية الاستعمار، وحذروا من الوقوع في شراك الطائفية والعنصرية والانعزالية..
- فقال الأنبا موسى - عضو المجمع المقدس في الكنيسة الأرثوذكسية - وأسقف الشباب-:

«نحن كأقباط لا نشعر أننا أقلية، لأنه ليس بيننا وبين إخواننا المسلمين فرق عرقي -«إثني»-، لأننا مصريون، وأتجاسر وأقول: كلنا أقباط، بمعنى أنه يجري فينا دم واحد من أيام الفراعنة، ووحدة المسألة العرقية تجعلنا متحدين مهما اختلفنا.

---

(١) ميشيل عفلق [في سبيل البعث] ص١٧٣. طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م. و[في سبيل البعث] -الكتابات السياسية الكاملة جـ٤ ص١٧ وجـ٣ ص٣٣، ٢٦٩، جـ٥ ص٦٨ - طبعة بغداد سنة ١٩٨٦، سنة ١٩٨٧، سنة ١٩٨٨م.

هناك طبعا التمايز الدينى، لكن يظل الأقوى، والأوضح الوحدة العرقية.

ولا نشعر نحن الأقباط بشعور الأقلية البغيض الذى يعانى منه غيرنا.. نحن أقلية عددية فقط، ولكن هذا لا يجعلنا نشعر أن هناك شرخا بيننا وبين المسلمين..

من جهة الهوية العربية، نحن مصريون عرقا، ولكن الثقافة الإسلامية هى السائدة الآن.. كانت الثقافة القبطية هى السائدة قبل دخول الإسلام. وأى قبطى يحمل فى الكثير من حديثه تعبيرات إسلامية، يتحدث بها ببساطة ودون شعور بأنها دخيلة، بل هى جزء من مكوناته..

نحن نحيا العربية لأنها هويتنا الثقافية، ومقتنعون بالطبع بأن فكرة العروبة فكرة سياسية واقتصادية وثقافية، بالإضافة لوحدة المصير المشترك.. والعلاقة بين الجذور والعروبة علاقة تناصرية. هذه دوائر متداخلة..

تاريخنا أفضل من حاضرنا، حينما نذكر الأقباط أيام الدولة العثمانية كانوا مع إخوانهم المصريين لهم دور مشترك فى عزل الوالى العثمانى ومجىء محمد على، وكان جرجس الجوهرى أحد قادة الأقباط، وكذلك إبراهيم الجوهرى أخوه، وكثير من الأقباط عملوا وشاركوا بشكل واضح فى الحياة السياسية فى عهد محمد على..

والأقباط دورهم بعد الثورة - سنة ١٩٥٢م - تقلّص كجزء من التقلّص الشامل فى المشاركة بمصر، كانت هناك سلبية شاملة..

وأنا أعتقد أن الأقباط جزء مهم من نسيج الحياة المصرية، لقد انغمس المسيحيون فى الحياة العملية.. فهم أطباء وصيادلة ومهندسون وغيرها من المهن، ونسبتهم أيضا فى رجال الأعمال مرتفعة أكثر من نسبتهم العددية فى مصر..

نحن نرفض المسيحية السياسية.. لأن المسيح قال: «مملكتى ليس بالعالم».. ولو حدثت المسيحية السياسية تصبح انتكاسة على المسيحية، كما حدث فى العصور الوسطى أيام كان البابوات هم الذين يدشنون الإمبراطور وينصبونه. هذه هى المسيحية السياسية التى نرفضها، لأنها تختلف عن المسيحية..

مصر دائما دولة مسلمة ومتدينة، ولكن بدون تطرف، ولو عشنا كمسلمين وأقباط وفى إطار الصحوة الدينية المصحوبة بصحوة وطنية فسيكون المستقبل أكثر من مشرق.

نحن فى مصر نسيج واحد، وسعداء بذلك وهذه حماية استراتيجية لنا كأقباط. ونحن لسنا لبنان، ويستحيل أن «تتلبنن» مصر. وتقسيم مصر فكرة مستحيلة، وغير مسيحية، ولو فكرنا فى ذلك معناه أننا نجهز أنفسنا للإبادة. وبعد، كيف أقيم فى أسيوط وأترك أديرة وادى النطرون؟ أو العكس؟!.. هذه فكرة غبية هذه فكرة صهيونية من أجل تفتيت مصر. وعندما شاهدت ما يحدث فى العراق، قلت: نجح الصهاينة، وأصبح العراق ثلاث دول.. فهذه الفكرة الصهيونية ليست قبطية..»[1].

هكذا شهد الأنبا موسى على:

- أن المصريين جميعا - مسلمين ومسيحيين - نسيج عرقى واحد.. وأن المسلمين هم فراعنة اعتنقوا الإسلام، وليسوا وافدين على مصر من خارجها..

- وأن المصريين ثقافتهم إسلامية.. ودولتهم مسلمة - دون تطرف -..

- وأن الثقافة الإسلامية هى ثقافة المسيحيين أيضا..

- وأن العروبة -اللغوية.. والثقافية- هوية جامعة لكل المصريين على اختلاف دياناتهم..

- وعلى أن الطائفية والانعزالية فيها دمار الأقباط وإبادتهم.. وأن المسيحية السياسية غريبة عن المسيحية.. وخطر على المسيحيين..

- وأن الغواية الاستعمارية بالطائفية والتفتيت للوطن هى فكرة صهيونية..

● وعلى درب الوعى الحضارى والقومى والوطنى، شهد المحامى القبطى «نبيل منير حبيب»:

«بأنه لا توجد حضارة قبطية، لأن للحضارة، -إن شئنا أن ندركها- مظهرين: (مادى ومعنوى)، والذى يبقى دائما هو المعنوى (أدب - تاريخ - فلسفة).

وهنا أستطيع أن أقول: إنه ليس هناك أدب قبطى، ولا فلسفة قبطية، ولا نُظُم سياسية قبطية. هناك تأثير روحانى، يونانى، أما المسألة القبطية فهى خليط من ذلك إضافة إلى تنصيرها العادات الفرعونية:

---

(١) [الملل والنحل والأعراق] ص٥٢٩ - ٥٣٤.

مثلا ٢٩ كيهك -وهو الذى يقابل ٧ يناير- هو عيد ميلاد «حورس» والمسيح لم يولد فى ذلك التاريخ.

كذلك، فشكل «عمارة الكنيسة المصرية» هو شكل المعبد الفرعونى، ومن ثم فليس هناك حضارة قبطية.

والمسيحية المصرية مسيحية محلية، على عكس الإسلام المصرى فلديه بُعد عالمى..»[١].

● وشهد الأنبا يوحنا قلتة - نائب البطرك الكاثوليكى بمصر - فقال:

«أوافق تماما على أن أكون مصريا.. مسيحيا، تحت حضارة إسلامية..

أنا مسلم ثقافة مائة فى المائة..

أنا عضو فى الحضارة الإسلامية كما تعلمتها فى الجامعة المصرية.. تعلمت أن النبى ﷺ سمح لمسيحى اليمن أن يصلوا صلاة الفصح فى مسجد المدينة.. فإذا كانت الحضارة الإسلامية بهذه الصورة.. التى تجعل الدولة الإسلامية تحارب لتحرير الأسير المسيحى.. والتى تعلى من قيمة الإنسان كخليفة عن الله فى الأرض.. فكلنا مسلمون حضارة وثقافة..

وإنه ليشرفنى، وأفخر أننى مسيحى عربى، أعيش فى حضارة إسلامية.. وفى بلد إسلامى، وأساهم وأبنى، مع جميع المواطنين، هذه الحضارة الرائعة..»[٢].

● وكتب الدكتور غالى شكرى [١٩٣٥ - ١٩٩٨م] يقول:

«إن الحضارة الإسلامية هى الانتماء الأساسى لأقباط مصر.. وعلى الشباب القبطى أن يدرك جيدا أن هذه الحضارة العربية الإسلامية هى حضارته الأساسية.. إنها الانتماء الأساسى لكافة المواطنين..

---

(١) [الملل والنحل والأعراق]. ص٥٣٨ [ولقد شهد المفكر اليسارى القبطى «أبو سيف يوسف» بأن «الجماعة الإثنية - بمصر - واحدة تتكلم اللغة نفسها، ولها ثقافة عامة مشتركة.. وتشكل فى النهاية كيانا اجتماعيا واحدا..» [الأقليات بين العروبة والإسلام] ص٩١-٩٣.

(٢) الأنبا يوحنا قلتة -من حوار دار عقب محاضرة لى- فى جمهور من النخبة المسيحية، المثلة لمختلف الطوائف -دعت إليها «اللجنة المصرية للعدالة والسلام» - عنوانها «أثر البعد الدينى فى الاشتراك فى العمل العام» -بفندق الحرية- بمصر الجديدة- بتاريخ ٩ نوفمبر سنة ١٩٩١م. انظر كتابنا [الإسلام والسياسة: الرد على شبهات العلمانيين] ص١٣٦ - طبعة مكتبة الشروق الدولية سنة ٢٠٠٨م.

صحيح أن لدينا حضارات عديدة، من الفرعونية إلى اليوم، ولكن الحضارة العربية الإسلامية قد ورثت كل ما سبقها من حضارات، وأصبحت هى الانتماء الأساسى، والذى بدونه يصبح المواطن فى ضياع..

إننا ننتمى -كعرب من مصر- إلى الإسلام الحضارى والثقافى، وبدون هذا الانتماء نصبح فى ضياع مطلق.. وهذا الانتماء لا يتعارض مطلقا مع العقيدة الدينية.. بالعكس.. لماذا؟ لأن الإسلام وحّد العرب، وكان عاملا توحيديا للشعوب والقبائل والمذاهب والعقائد»[1].

● وشهد المفكر الحضارى البارز الدكتور أنور عبد الملك، فقال:

«إن أى إنسان عاقل يدرك أن مصر هى أقدم أمة وحضارة فى التاريخ قاطبة.. ومنذ الفتح العربى الإسلامى دخلنا بالتدريج فى إطار دائرة أسميناها -منذ خمسين عاما- الدائرة العربية، ولكنها فى الواقع هى دائرة الحضارة الإسلامية التى تتمركز حول مبدأ واحد هو «التوحيد»، الذى يتفق بشكل مطلق مع خصوصية مصر. فالحياة العامة فى مصر بها قبول بالسليقة للتوحيد، ناتج من وحدة الأمة المصرية منذ ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة، وبالتالى فالإطار الحضارى للإسلام يشمل المرحلة القبطية «أى المسيحية المصرية» كما أن لغتنا هى العربية، لغة القرآن..»[2].

● وشهد المفكر الحضارى، والمناضل القومى الدكتور رؤوف نظمى -[محجوب عمر] - على شمول المرجعية الإسلامية الواحدة، والموحِّدة، لكل الأمة فقال:

«الأمة مرجعيتها واحدة، وهى الإسلام، بما له من تراث وعقائد وأصول.. والأساس هو أن يكون للأمة مرجعية واحدة، فإذا كانت الأمة إسلامية فمرجعيتها الإسلام، وإذا كانت كونفوشيوسية، فمرجعيتها الكونفوشيوسية..

إن أغلبية الأمة مسلمون، والمطلوب هو توجيه الجهود للعمل مع الأغلبية التى لا تزال على مرجعيتها التاريخية على تراثها الحضارى، وعلى عقيدتها..

---

(١) صحيفة [الوفد] عدد ٢٨ رجب سنة ١٤١٣هـ ٢١ يناير سنة ١٩٩٣م.

(٢) صحيفة [أخبار الأدب] فى ٣٠-٤-٢٠٠٠م.

نحن لدينا دستور يقول: إن دين الدولة هو الإسلام، وكافة مواد القانون تكون فى حدود الشريعة، والمطلوب فقط ترويج هذا الفهم لإطلاق طاقات الإبداع فى المشروع الحضارى..

إذا كانت المرجعية الإسلامية هى مرجعية الجميع، تنتهى المشكلة. فالمطلوب أن يكون مشروعنا حضاريا، من حضارتنا، وحضارتنا إسلامية، فالمطلوب أن يكون الإسلام المرجعية العامة للجميع..»[1].

● وعلى حين خرجت الكنيسة على «العقد الاجتماعى» -الذى حدده الدستور- والذى ينص - كما قال المفكر الحضارى الدكتور رؤوف نظمى - على أن دين الدولة هو الإسلام.. ومبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع - وهى الهوية الإسلامية للدولة ومجتمعها عبر تاريخها الإسلامى.. وحيث جرَّت هذه الكنيسة قطاعات كبيرة من رعيتها أثناء التصويت على التعديلات الدستورية سنة ٢٠٠٥م، فأعلنت ودعت إلى إلغاء المادة الثانية من الدستور التى تنص على إسلامية التشريع والقانون - متحدية بذلك الدولة والأمة، والعقد الاجتماعى.. فإن صوت العقل والحكمة يأتى واضحا وحاسما من الكاتب صادق عزيز، الذى كتب يقول:

«إن مصر دولة إسلامية منذ دخلها الإسلام، ويومها كان المسلمون هم الأقلية، وكان الأقباط هم الأغلبية، ومع ذلك كانت إسلامية.

بل إن مصر فى تاريخها لم تكن دولة «قبطية» حتى من قبل الإسلام، فهى تقع دائما تحت الحكم الرومانى أو البيزنطى والمقدونى، أما الحكم القبطى فلم نسمع عنه أبدا..

وفيما عدا الأحوال الشخصية فإن أحكام الشريعة الإسلامية لا تتعارض إطلاقا مع المسيحية، وذلك لعدة أسباب أهمها:

١- أنه إذا كانت الدولة إسلامية، فالقوانين الوضعية يجب أن تكون إسلامية، وعلينا قبول ذلك، بل والترحيب به، عملا بقول المسيح: «أعطو ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

---

(١) مجلة [منبر الحوار]- بيروت- عدد خريف سنة ١٩٨٩م.

٢- أن أحكام الشريعة الإسلامية تنطبق فى كثير جدا من الأحوال مع شريعة العهد القديم، وهى ما جاء المسيح لا لينقضها.. بل ليكملها..

٣- أن المسيحية لم تأت بأحكام وقوانين وضعية، عملا بقول المسيح: «مملكتى ليست فى هذا العالم». ومن ثم ترك للحكام، أو لقيصر وضع الأحكام الأرضية، وأمرنا بأن نعطى ما للحكام للحكام..»[١].

●●●

هكذا.. وفى مواجهة الغواية الاستعمارية.. وشراك الخيانة التى نصبتها، والتى سقطت فيها قطاعات من أبناء الأقليات، الذين أرادوا الانقضاض على «العقد الاجتماعى» و«هوية العروبة والإسلام» للأمة.. ارتفعت أصوات العقلاء والحكماء بالرفض لهذه الغواية، والتفنيد لدعاوى الخيانة التى سقط البعض فى حبائلها..

بل لقد كان ملفتا للنظر، وموطنا لأبلغ الدلالات أن تنحاز الأغلبية من أقباط مصر إلى خيار تطبيق الشريعة الإسلامية فى المنظومة القانونية المصرية - بما فى ذلك عقوبات الحدود-، ففى استطلاع للرأى العام بمصر حول تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على جرائم الحدود، صوت ٦٣٪ من مسيحيى مصر بالموافقة على ذلك سنة ١٩٨٥م..[٢].. فصادق جمهور العقلاء على موقف النخبة والصفوة من الحكماء..

وإذا كانت القطاعات التى خانت، عندما سقطت فى شراك الغواية الاستعمارية، قد تحصنت بالكنيسة التى حاولت وتحاول الخروج عن رسالتها الروحية، والتحول إلى دولة داخل الدولة -وأحيانا فوق الدولة- ترفض تطبيق القوانين وأحكام القضاء.. وتحاول أن تفرض خياراتها على أغلبية الأمة - بل وأغلبية المسيحيين- وهو وضع غريب وعجيب وشاذ لم يسبق له نظير فى أى

---

(١) جمال بدوى [الفتنة الطائفية: جذورها وأسبابها. دراسة تاريخية ورؤية تحليلية] ص١٣٧-١٤١. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م.

(٢) لقد أجرى هذا الاستطلاع «المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية» - ونشرت وقائعه بعنوان: [استطلاع الرأى العام فى مصر حول تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على جرائم الحدود] ص٨٤- طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥م.

مجتمع من المجتمعات -أن تسعى أقلية إلى فرض رؤاها على الأمة- فإن أصوات الحكماء - فى أوساط الكهنة والإكليروس- قد نبهت على خطورة خروج الكنيسة عن رسالتها المسيحية -خلاص الروح- وسعيها لتكرار النموذج الذى مارسته الكنيسة الكاثوليكية بأوربا فى العصور الوسطى.. وهو الذى أدخل أوربا عصور الظلمات، وأفضى إلى ردود أفعال مادية وعلمانية أصابت المسيحية ذاتها بالإعياء والتهميش والإفلاس!..

لقد ارتفعت أصوات عاقلة -من قيادات الكهنة والإكليروس- ممثلة فى اللاهوتى الأرثوذكسى الكبير الأب متى المسكين [١٩١٩ - ٢٠٠٦م].. الذى مثل القيادة الحكيمة للتيار اللاهوتى الداعى إلى وقوف الكنيسة عند حدودها، وترك ما لقيصر والدولة والمجتمع والسلطان.. والذى كتب فى هذا الموضوع الكتب والمقالات والدراسات.. وتحمّل -هو وأتباعه- بسبب ذلك الاضطهاد.. وحتى الحرمان!!..

وإذا شئنا أن نقدم نموذجا من هذه الكتابات الحكيمة والنفيسة، فإننا نقدم هذه السطور -التى يجب أن يعيها مسيحيو الشرق- حتى تعود قياداتهم الشاردة إلى مسيحيتها وإلى صوابها!.. لقد قال الحبر العظيم الأب متى المسكين:

«إن الخطيئة هى مدخل المسيحية إلى الإنسان.. وإن المسيح لم يهتم أبدا كيف يرتب حياة الخاطئ لمّا يتوب، أو يشرّع قوانين مدنية.. المسيح لم يعد الخطاة التائبين بشىء من ملك هذا العالم، بل ثبّت قلب التائب نحو مُلك السماء.. ملكوت الله ليس ملكوتا زمنيا، فلا تترقب مجيئه عبر الزمان..

لم يجمع السيد قط ولم يخلط أبدا بين مملكة الله ومملكة هذا الدهر. نقرأ عنه أنه «لما أرادوا أن يختطفوه ويجعلوه ملكا انصرف وحده» -يوحنا ٦: ١٥-..

التوبة شغل الكنيسة الشاغل لأنها رسالتها.. فإذا رفعنا المناداة بالتوبة من الكنيسة لا يتبقى لها عمل آخر.. وخارجا عن التوبة لا يوجد عمل ولا خدمة داخل الكنيسة وخارجها..

ومحاولة الكنيسة الاهتمام بالأمور الزمنية باسم المسيح هو بمثابة تنصيب المسيح ملكا على الأرض.

ومحاولة تقوية سلطان الكنيسة الزمنى، والمطالبة بحقوق للجماعة هو رجعة لإقامة ملك المسيّا كما يحلم به اليهود..

إن أخطر عدو يهدد كيان المسيحية بالانحلال هو أن يهتم الكارزون فى الكنيسة بموضوع آخر غير «خطيئة الإنسان»، فيتركوا عنهم دعوة المسيح للخطاة التى كانت مهمته الأولى، والعظمى، وينشغلوا بالإنسان من جهة حياته الاجتماعية، هذا ليس خروجا عن المسيحية فحسب، ولكنه مقاومة..

إن المسيحية تتعرض فى هذه الأيام لنفس المحنة التى تعرضت لها على أيدى [الفريسيين] والكنيسة تواجه نفس الضربة، لأن بعض الكارزين يحاولون الآن الخروج بالمسيحية عن موضوعها بسبب انعدام قدرتهم على الكرازة بالتوبة لتجديد الإنسان وخلاصه، وإن الخسارة التى ستجنيها الكنيسة من جراء ضم مواضيع جديدة للكرازة سوف تنتهى أخيرا بانطفاء سراج المناداة بالتوبة لخلاص الخطاة الذى ظل ينير الكنيسة ويضم لها كل يوم الذين يخلصون. الأمر الذى كان يخشاه بولس الرسول، والذى من أجله حارب وحوشا فى أفسس، وجاهد وغلب، ثم تركه وديعة لتلميذه تيموثاوس ليحارب حروب الرب من أجله أيضا، ويسلمه تراثا للكنيسة..

ولكن الكارزين فى هذه الأيام فقدوا الطريق الموصل لقلب الإنسان، فأخذوا يدورون حوله إلى ما لا نهاية..

والمفتاح المقدس الذى سلّمه الرب للكنيسة إلى قلب الخطاة ضاع، والمفتاح كان المناداة بالتوبة..

لقد يئس الخاطئ، وتبلدت نفسه، وكرهت روحه الحق.

إن المفتاح الكبير الذى سلمه الرب للكنيسة لتفتح به ملكوت السموات للخطاة أينما شاءت وكيفما شاءت، فقدته. لقد ضاع المفتاح الكبير لما انشغلت الكنيسة بأموال الدنيا وأملاك العالم، وتلاهت عن خلاص الخطاة.

نعم، لا يستطيع الإنسان أن يعبد ربين، ولا أن يخدم سيدين..

إن أى محاولة للجمع بين ملكوت الله، كهدف اختصاص المسيحية، مع أهداف أخرى، مثل المطالبة بحقوق خاصة للكنيسة للاشتراك فى الحكم أو فى إدارة سياسة

الدولة أو المطالبة بحقوق خاصة لتملك شيء من أمجاد هذه الدنيا، أو السعى ليكون للكنيسة شيء من النفوذ أو السيادة، هذه المحاولة معناها الخروج عن هدف الاختصاص فى المسيحية، الذى هو ملكوت الله..

كذلك كل محاولة لاستخدام السلطان، سواء كان سلطان الدين أو السلطان الزمنى، أو استخدام التهديد والوعيد، أو استخدام العقوبة أو المقاطعة لإجبار الخاطئ على التوبة، يعتبر هذا كله عمل اغتصاب وسلبا لمشيئات الناس واستعبادهم باسم الدين والكنيسة..

وسيان، من حيث الخطورة والدوافع المنحرفة، أن تطلب الكنيسة القوة من السلطان الزمنى، أو تحض على الاستهتار بقوة السلطان الزمنى، لأن فى الأول خروجا عن اختصاص الكنيسة، وفقدانا لمصدر قوتها الروحية -كما أثبتنا-.. وفى الثانية خروجا على المنطق المسيحى ووصية الإنجيل، ووقوعا فى دينونة الله، لأن الكتاب يقول: «المقاومون (للسلطان) يأخذون لأنفسهم دينونة»- رومية ١٣: ٢-..

وعلى الكنيسة أن تدع المواطن المسيحى يتحرك بحرية فى كل الاتجاهات كما يشاء وكما تمليه عليه تربيته ونشأته وثقافته، ويتحمل هو تبعة تحركه وتظل الكنيسة فوق كل هذه التحركات جميعا تعمل فى اختصاصها لخلاص نفسه وإهداء أقدامة فى طريق ملكوت الله..

ويشهد التاريخ ويروى أنه كلما خرجت الكنيسة عن اختصاصات مسيحها، وبدأت تنزع إلى السلطان الزمنى، وتجيِّش الجيوش باسم الصليب، وزاغت وراء أموال الأغنياء، وارتمت فى أحضان أصحاب النفوذ، وحاولت محاولات جدية وعنيفة للجمع بين السلطان الدينى والسلطان الزمنى، ودأبت على المطالبة بحقوق عنصرية وطائفية فشلت المسيحية فى تأدية رسالتها، ودب فيها الخصام والنزاع والوهن، وفقدت شكل مسيحها كمنادية بالتوبة، وضاع منها الخروف الضال.

ولما انشغلت بأمجاد الدنيا قُفل فى وجهها باب الملكوت، وصارت فى حاجة إلى من ينتشلها من ورطتها ويردها إلى حدود اختصاصاتها الأولى..»[1].

●●●

(١) الأب متى المسكين [مقالات بين السياسة والدين] ص٧-١٣، ١٨، ٢٧، ٢٨ - الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧م. والطبعة الثانية سنة ١٩٨٠م -دار مجلة مرقس - مطبعة دير القديس أنبا مقار.

لقد كتب الحبر العظيم الأب متى المسكين هذا البيان النفيس والموعظة الحكيمة، عندما رأى الكنيسة الأرثوذكسية قد أصبحت صورة من [جماعة الأمة القبطية]: حزبا سياسيا.. ومؤسسة إقطاعية رأسمالية.. تركت رسالة المسيح وكنيسته.. واشتغلت بالدنيا وطلب القوة والسلطان.. فنبه على أن هذا هو إعلان فشل الكنيسة وإفلاسها فى رسالتها: هداية الخطاة، وخلاص أرواحهم بالتوبة، ثم تركهم إلى شأنهم فى أمورهم الحياتية والزمنية دون أى تدخل، أو حتى توجيه.. لقد أدان هذا الحبر العظيم:

- محاولات الكنيسة «الجمع بين السلطان الدينى والسلطان الزمنى»..

- والعمل على «الاستهتار بقوة السلطان الزمنى»..

- وأساليب «التهديد والوعيد».. و«المقاطعة.. والاحتجاج»...

- والسعى «للمطالبة بحقوق خاصة للكنيسة للاشتراك فى الحكم أو فى إدارة سياسة الدولة.. أو تملك شىء من أمجاد الدنيا..».

ولأن الكنيسة لم تستجب لهذه الحكمة التى أعلنها هذا الحبر العظيم، فلقد سقطت فى الهاوية التى حذّرها منها.

- فشلت فى أداء رسالتها الأولى والأخيرة: خلاص الأرواح.. وإشباع الأرواح.. وأحلت الطائفية والعنصرية والسلطان الزمنى محل إشباع الأرواح وخلاصها.. فحدث جفاف روحى بين أبنائها - فى مناخ تتعاظم فيه الصحوة الإسلامية - فأخذ أبناؤها يهربون منها إلى الإسلام.. ومن لم يسلم هرب إلى الكنيسة الإنجيلية.. وهرب آخرون -بالهجرة- للاندماج فى المجتمعات الغربية!!..

- وعجز القائمون عليها عن «الكرازة بالتوبة لتجديد الإنسان وخلاصه» -كما قال الأب متى المسكين- لأن هؤلاء الكارزين قد انطلقوا من «أيديولوجية جماعة الأمة القبطية».. وليس من الرسالة التى حددها المسيح لكنيسته!.. فهم طلاب دنيا وسلطة، لا علاقة لهم بمملكة السماء..

- ولذلك خرجت الكنيسة على المجتمع.. وعلى العقد الاجتماعى الذى ارتضاه.. وهو الهوية العربية الإسلامية - فأصبحت محاطة بقدر من الكراهية والتوتر- وحتى العنف - لم يسبق له مثيل فى التاريخ!!..

- وتمردت على سلطان القيصر -الدولة- حتى غدت منبوذة من الأمة ومن السلطان.. ولم يعد لها إلا الاستناد والاستقواء بالأعداء التاريخيين للشرق والشرقيين - الغرب الإمبريالى.. والصهيونية اليهودية.. **فدخلت -بذلك- فى مأزق وطنى، بعد أن دخلت فى مأزق دينى!!..**

- فهل يعيد عقلاء المسيحيين - وهم كثيرون.. لكنهم صامتون! - قراءة هذا البيان النفيس الذى كتبه الحبر العظيم والحكيم الأب متى المسكين، ونشره سنة ١٩٧٧م- عندما وضح انحراف الكنيسة عن مسارها المسيحى؟؟..

- وهل يعيدون قراءة حيثيات حكم محكمة القضاء الإدارى - مجلس الدولة - الذى أدان هذا المسلك لقيادة الكنيسة - فى القضية رقم ٩٣٤ لسنة ٣٦ قضائية - بتاريخ ١٢-٤-١٩٨٣م- والتى جاء فيها:

«.. وقد صور الطموح السياسى لقيادة الكنيسة أن تقيم الكنيسة من نفسها دولة داخل الدولة، تستأثر بأمور المسيحيين الدنيوية، وخرجوا بالكنيسة عن دورها السامى الذى حدده لها المسيح -عليه السلام- فى قوله: «رد ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

كما سعى رأس الكنيسة إلى إثارة شعور الأقباط لحشدهم حوله، واستغل ذلك فى الضغط على سلطان الدولة..

واستعدى الرأى العام العالمى على الحكومة المصرية، وأضر بسمعة البلاد.. وليس من شك فى أن هذه التصرفات كلها تنطوى على تحدّ لسلطة الدولة»!![1].

هل يعيد العقلاء -وهم كثيرون- قراءة هذه الحقائق؟؟.. وهل يرفعون أصواتهم بكلمة الحق.. والمصلحة؟؟.. فينقذون القطاعات التى ضلت سواء السبيل من الغواية الاستعمارية.. ومن السقوط فى شباك الأعداء.. أعداء المسيحيين والمسلمين الشرقيين على حد سواء..

إن الأمل لا يزال قائما.. والرجاء لايزال معقودا على هؤلاء العقلاء الحكماء!.

●●●

(١) انظر حيثيات هذا الحكم فى: دكتور محمد مورو [يا أقباط مصر انتبهوا] ص٢٢٠-٢٥٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨م.